

بسم الله الرحمن الرحيم

(سلسلة أجوبة الشيخ العالم عطاء بن خليل أبو الرشته أمير حزب التحرير على أسئلة رواد صفحته على الفيسبوك)

جواب سؤال: حول تفكير الرسول ﷺ بالهجرة إلى المدينة

إلى Ayman Alfjjary

السؤال:

السلام عليكم، سؤال لأميرنا الآن وخليفتنا قريباً إن شاء الله:

ورد في كتاب الدولة الإسلامية في موضوع بيعة العقبة الثانية وما بعدها عن الرسول ﷺ أنه (فكر) في أكثر من موضع، مع أن الموضع يكون وحياً من الله وليس تفكيراً من الرسول ﷺ مثل: فكر بالهجرة، والهجرة وحى من الله. أرجو توضيح المقصود بالتفكير هنا، وبارك الله فيكم؟

الجواب:

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

قبل الجواب مباشرة عن تفكير الرسول ﷺ بالهجرة، فإني أعيدك إلى بداية طلب النصرة حتى بيعة العقبة الثانية ثم الهجرة، وذلك ليتضح الجواب بإذن الله:

١- لقد توفيت خديجة رضي الله عنها قبل الهجرة بثلاث سنين، وفي العام نفسه توفي أبو طالب، كما جاء في عيون الأثر، حيث ورد فيه:

(... عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: تُوفِّيتْ خَدِيجَةُ بِمَكَّةَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ، وَهِيَ أُولَى مَنْ آمَنَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، قَالَ... ثُمَّ أَنَّ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ وَأَبَا طَالِبٍ مَاتَا فِي عَامٍ وَاحِدٍ، فَتَنَابَعَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُصِيبَتَانِ: وَفَاةَ خَدِيجَةَ وَأَبِي طَالِبٍ، وَكَانَتْ خَدِيجَةُ وَزِيرَةَ صِدْقٍ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْكُنُ إِلَيْهَا، قَالَ: وَقَالَ زِيَادُ الْبُكَائِيِّ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ: إِنَّ خَدِيجَةَ وَأَبَا طَالِبٍ تَوَفَّيَا فِي عَامٍ وَاحِدٍ، وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ عَشْرِ سِنِينَ مَضَيْنِ مِنْ مَبْعَثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ مُهَاجِرِهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ. وَذَكَرَ ابْنُ قُتَيْبَةَ أَنَّ خَدِيجَةَ تُوفِّيتْ بَعْدَ أَبِي طَالِبٍ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ. وَذَكَرَ الْبَيْهَقِيُّ نَحْوَهُ.) انتهى

٢- وَعَنِ الْوَاقِدِيِّ: (تُوفِّيتْ خَدِيجَةُ قَبْلَ أَبِي طَالِبٍ بِخَمْسٍ وَثَلَاثِينَ لَيْلَةً، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ، فَلَمَّا هَلَكَ أَبُو طَالِبٍ نَأَلَتْ فُرَيْشٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْأَدَى مَا لَمْ تَكُنْ تَطْمَعُ فِيهِ فِي حَيَاةِ أَبِي طَالِبٍ، حَتَّى اعْتَرَضَهُ سَفِيهُ مِنْ سَفَهَاءِ فُرَيْشٍ فَنَثَرَ عَلَى رَأْسِهِ تُرَابًا، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْتَهُ وَالتُّرَابُ عَلَى رَأْسِهِ، فَقَامَتْ إِلَيْهِ إِحْدَى بَنَاتِهِ فَجَعَلَتْ تَغْسِلُ عَنْهُ التُّرَابَ وَهِيَ تَبْكِي وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَبْكِي يَا بِنْتِي فَإِنَّ اللَّهَ مَانِعٌ أَبَاكَ» وَيَقُولُ بَيْنَ ذَلِكَ: «مَا نَأَلْتُ مِنْ فُرَيْشٍ شَيْئًا أَكْرَهُهُ حَتَّى مَاتَ أَبُو طَالِبٍ»)

٣- في هذه الظروف الصعبة أكرم الله رسوله ﷺ بحدثين كبيرين عظيمين، وهما الإسراء والمعراج، والإذن للرسول ﷺ بطلب نصرة أهل القوة من القبائل لحماية الدعوة وإقامة الدولة... وموضوع الإسراء والمعراج ليس هنا مكانه، وأما طلب النصرة، فقد قال صاحب عيون الأثر وغيره من أهل السير:

(خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف في أواخر شوال سنة عشر من النبوة، خَرَجَ إِلَى الطَّائِفِ وَحْدَهُ - وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ:

وَمَعَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ - يَلْتَمِسُ النُّصْرَةَ مِنْ تَقِيفٍ وَالْمَنَعَةَ بِهِمْ مِنْ قَوْمِهِ، وَرَجَاءٌ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنَ اللَّهِ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الطَّائِفِ عَمِدَ إِلَى نَفَرٍ مِنْ تَقِيفٍ وَهُمْ يَوْمَئِذٍ سَادَةُ تَقِيفٍ وَأَشْرَافُهُمْ وَهُمْ أَخَوَةٌ ثَلَاثَةٌ: عَبْدُ يَالِيلٍ، وَمَسْعُودٌ، وَحَبِيبٌ، بَنُو عَمْرِو بْنِ عَمِيرِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَفْدَةَ بْنِ غَيْرَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ تَقِيفٍ... ولم يستجيبوا... بل أغروا به سَفَهَاءَهُمْ... انتهى

٤- بعد ذلك تتابع طلب النصر، فقد كان رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْضُ نَفْسَهُ فِي الْمَوَاسِمِ إِذَا كَانَتْ عَلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ نَبِيُّ مُرْسَلٌ وَيَسْأَلُهُمْ أَنْ يُصَدِّقُوهُ وَيَمْنَعُوهُ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا بَعَثَهُ اللَّهُ بِهِ... فَاتَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كِنْدَةً فِي مَنَازِلِهِمْ وَفِيهِمْ سَيِّدٌ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ مُلَيْحٌ فَدَعَاَهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ فَأَبَوْا عَلَيْهِ... وَأَتَى كَلْبًا فِي مَنَازِلِهِمْ إِلَى بَطْنٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو عَبْدِ اللَّهِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ، حَتَّى إِذَا لِيَقُولَ: "يَا بَنِي عَبْدِ اللَّهِ إِنْ كَانَ اللَّهُ قَدْ أَحْسَنَ اسْمَ أَبِيكُمْ" فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ مَا عَرَضَ عَلَيْهِمْ... وَأَتَى بَنِي حَنِيفَةَ فِي مَنَازِلِهِمْ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ وَعَرَضَ نَفْسَهُ فَلَمْ يَكْ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ أَقْبَحَ رِدَاً عَلَيْهِ مِنْهُمْ... وَأَتَى بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ، فَاشْتَرَطُوا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ فِي الْحُكْمِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «الْأَمْرُ لِلَّهِ يَضَعُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»، فَارْفَضُوا وَقَالُوا لَا حَاجَةَ لَنَا بِأَمْرِكَ... ثُمَّ خَرَجَ الرَّسُولُ ﷺ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا... قَالَ عَلِيٌّ: وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ فِي كُلِّ خَيْرٍ مَقْدَمًا، فَقَالَ: مِمَّنِ الْقَوْمُ؟ فَقَالُوا: مِنْ شَيْبَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ، فَالْتَفَتَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَبُيْ أَنْتَ وَأُمِّي هُوَ لَاءُ غُرَّرَ فِي قَوْمِهِمْ وَفِيهِمْ مَفْرُوقُ بْنُ عَمْرٍو... قَالَ: لَعَلَّكَ أَخُو قَرَيْشٍ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَوْ قَدْ بَلَغَكُمْ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ فَهَا هُوَ ذَا؟ فَقَالَ مَفْرُوقٌ: قَدْ بَلَغْنَا أَنَّهُ يَذُكُرُ ذَلِكَ، فَإِلَّا مَا تَدْعُو يَا أَخَا قَرَيْشٍ؟ فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَدْعُو إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَأَنْ تَوَوَّنِي وَتَنْصُرُونِي فَإِنْ قَرَيْشًا قَدْ تَظَاهَرَتْ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ وَكَذَبَتْ رِسْلَهُ وَاسْتَعْنَتْ بِالْبَاطِلِ عَنِ الْحَقِّ وَاللَّهِ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ... فَقَالَ الْقَوْمُ... وَإِنَّا إِنَّمَا نَزَلْنَا عَلَى عَهْدِ أَخَذَهُ عَلَيْنَا كَسْرَى أَنْ لَا نَحْدِثُ حَدِيثًا وَلَا نُؤْوِي مَحْدِثًا وَإِنِّي أَرَى أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي تَدْعُونَا إِلَيْهِ أَنْتَ هُوَ مِمَّا يَكْرَهُهُ الْمُلُوكُ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ نُؤْوِيكَ وَنَنْصُرَكَ مِمَّا يَلِي مِيَاهَ الْعَرَبِ فَعَلْنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَسَأْتُمْ فِي الرَّدِّ إِذْ فَصَحْتُمْ فِي الصِّدْقِ وَإِنْ دِينَ اللَّهِ لَنْ يَنْصُرَهُ إِلَّا مَنْ حَاطَهُ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ».

٥- ثم ورد في عيون الأثر وفي غيره من كتب السير:

(قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ إِظْهَارَ دِينِهِ وَإِعْزَازَ نَبِيِّهِ وَإِنْجَازَ مَوْعِدِهِ لَهُ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَوْسِمِ الَّذِي لَقِيَ فِيهِ النَّفَرَ مِنَ الْأَنْصَارِ، رَهْطًا مِنَ الْخَزْرَجِ فَقَالَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ: «أَفَلَا تَجْلِسُونَ أَكَلْمَكُمْ؟» قَالُوا: بَلَى، فَجَلَسُوا مَعَهُ، فَدَعَاَهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ... فَلَمَّا كَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوْلِيكَ النَّفَرَ وَدَعَاَهُمْ إِلَى اللَّهِ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: نَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ إِنَّهُ لِلنَّبِيِّ الَّذِي تَوَعَّدَكُمْ بِهِ يَهُودٌ، فَلَا يَسْبِقَنَّكُمْ إِلَيْهِ، فَأَجَابُوهُ فِيمَا دَعَاَهُمْ إِلَيْهِ بِأَنْ صَدَّقُوهُ وَقَبِلُوا مِنْهُ مَا عَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْإِسْلَامِ وَقَالُوا لَهُ: إِنَّا تَرَكْنَا قَوْمَنَا وَلَا قَوْمَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالشَّرِّ مَا بَيْنَهُمْ، فَإِنْ يَجْمَعُهُمُ اللَّهُ عَلَيْكَ فَلَا رَجُلٌ أَعَزُّ مِنْكَ، ثُمَّ انْصَرَفُوا رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ قَدْ آمَنُوا وَصَدَّقُوا... انتهى

فلما استدار العام وعادت الأشهر الحرم وجاء موعد الحج لمكة، أتى الموسم من السنة الثانية عشرة اثنا عشر رجلا من أهل يثرب فالتقوا هم والنبي بالعقبة، فبايعوه ببيعة العقبة الأولى. جاء في حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار: (وفي الموسم من السنة الثانية عشرة: وافاه اثنا عشر رجلا من الأنصار، فبايعوه عند (العقبة) ببيعة النساء...)

أخرج أحمد في مسنده عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: كُنْتُ فِيمَنْ حَضَرَ الْعَقْبَةَ الْأُولَى وَكُنَّا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا فَبَايَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُفْتَرَضَ الْحَرْبُ عَلَيَّ: «أَنْ لَا تُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تُسْرِقَ، وَلَا تُزْنِيَ،

وَلَا نَقْتُلْ أَوْلَادَنَا، وَلَا نَأْتِي بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا، وَلَا نَعْصِيهِ فِي مَعْرُوفٍ، فَإِنْ وَقَيْتُمْ فَلَكُمْ الْجَنَّةَ، وَإِنْ عَشَيْتُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَأَمْرُكُمْ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَذَّبَكُمْ، وَإِنْ شَاءَ عَفَرَ لَكُمْ».

٦- فلما انصرفوا بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير كما جاء في سيرة ابن هشام وغيرها من السير:

(قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا انْصَرَفَ عَنْهُ الْقَوْمُ، بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُمْ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ. وَكَانَ مَنْزِلُهُ عَلَى أَسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ بْنِ عَدَسَ، أَبِي أُمَامَةَ... قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُغِيرَةِ بْنِ مَعْيَقِبٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَزْمٍ: أَنَّ أَسْعَدَ بْنَ زُرَّارَةَ خَرَجَ بِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ يُرِيدُ بِهِ دَارَ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، وَدَارَ بَنِي ظَفَرٍ، وَكَانَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذِ بْنِ خَالَةَ أَسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ، فَدَخَلَ بِهِ حَائِطًا مِنْ حَوَائِطِ بَنِي ظَفَرٍ... فَجَلَسَا فِي الْحَائِطِ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِمَا رِجَالٌ مِمَّنْ أَسْلَمَ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، يَوْمَئِذٍ سَيِّدًا قَوْمَهُمَا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ... وَلَكِنْ اللَّهُ شَرَحَ صَدْرَهُمَا لِلْإِسْلَامِ...، فَأَسْلَمَا، وَأَقْبَلَ سَعْدٌ عَامِدًا إِلَى نَادِي قَوْمِهِ وَمَعَهُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ... فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، كَيْفَ تَعْلَمُونَ أَمْرِي فِيكُمْ؟ قَالُوا: سَيِّدُنَا (وَأَوْصَلْنَا) وَأَفْضَلُنَا رَأْيًا، وَأَيْمُنُنَا نَقِيبَةً، قَالَ: فَإِنَّ كَلَامَ رِجَالِكُمْ وَنِسَائِكُمْ عَلَيَّ حَرَامٌ حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ. قَالُوا: فَوَاللَّهِ مَا أَمَسَى فِي دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ إِلَّا مُسْلِمًا وَمُسْلِمَةً، وَرَجَعَ أَسْعَدُ وَمُصْعَبُ إِلَى مَنْزِلِ أَسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ...).

٧- وجاء في سيرة ابن هشام وفي حقائق الأنوار وغير ذلك من السير: (ثُمَّ إِنَّ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ رَجَعَ إِلَى مَكَّةَ، وَخَرَجَ مِنْ حَرَجٍ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمَوْسِمِ مِنَ السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ عَشْرَةَ لِلْبَعْثَةِ مَعَ حَجَّاجِ قَوْمِهِمْ مِنْ أَهْلِ الشَّرْكِ، حَتَّى قَدِمُوا مَكَّةَ، فَوَاعَدُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْعُقَبَةَ، مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، حِينَ أَرَادَ اللَّهُ بِهِمْ مَا أَرَادَ مِنْ كَرَامَتِهِ، وَالنَّصْرِ لِنَبِيِّهِ، وَإِعْزَازِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَإِذْلالِ الشَّرْكِ وَأَهْلِهِ... قَالَ كَعْبٌ: ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى الْحَجِّ، وَوَاعَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْعُقَبَةِ مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ. قَالَ: فَلَمَّا فَرَعْنَا مِنَ الْحَجِّ، وَكَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي وَاعَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَهَا... قَالَ: فِيمَنَا تِلْكَ اللَّيْلَةُ مَعَ قَوْمِنَا فِي رِحَالِنَا، حَتَّى إِذَا مَضَى ثَلَاثُ اللَّيْلِ خَرَجْنَا مِنْ رِحَالِنَا لِمَعَادِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، نَتَسَلَّلُ نَسَلًا أَلْفًا مُسْتَخْفِينَ، حَتَّى اجْتَمَعْنَا فِي الشَّعْبِ عِنْدَ الْعُقَبَةِ، وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا، وَمَعَنَا امْرَأَتَانِ مِنْ نِسَائِنَا... قَالَ: فَاجْتَمَعْنَا فِي الشَّعْبِ نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ... قَالَ: فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَتَلَا الْقُرْآنَ، وَدَعَا إِلَى اللَّهِ، وَرَغِبَ فِي الْإِسْلَامِ، ثُمَّ قَالَ أَبَايَعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ. قَالَ: فَأَخَذَ الْبِرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ (نَبِيًّا)، لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَرْبَابَنَا، فَبَايَعْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَنَحْنُ وَاللَّهِ أَبْنَاءُ الْحُرُوبِ، وَأَهْلُ الْحُلُقَةِ، وَرِثْنَاهَا كَابِرًا (عَنْ كَابِرٍ). قَالَ: فَاعْتَرَضَ الْقَوْلَ، وَالْبِرَاءُ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيْهَانِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرَّجَالِ حِبَالًا، وَإِنَّا قَاطِعُوهَا - يَعْنِي الْيَهُودَ - فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ تَمَّ أَظْهَرَكَ اللَّهُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى قَوْمِكَ وَتَدْعَنَا؟ قَالَ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: بَلِ الدِّمُ الدِّمُ، وَالْهَدْمُ الْهَدْمُ، أَنَا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنِّي، أَحَارِبُ مِنْ حَارِبَتُمْ، وَأَسَالِمُ مِنْ سَالِمَتُمْ... قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي عِبَادَةُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْ أَبِيهِ الْوَلِيدِ، عَنْ جَدِّهِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، وَكَانَ أَحَدَ النُّقَبَاءِ، قَالَ: بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَيْعَةَ الْحَرْبِ - وَكَانَ عِبَادَةُ مِنَ الْإِنْتِي عَشْرَ الَّذِينَ بَايَعُوهُ فِي الْعُقَبَةِ الْأُولَى عَلَى بَيْعَةِ النَّسَاءِ - عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي عُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَمَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيَّمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ... انتهى

٨- وهكذا تمت بيعة العقبة الثانية، بيعة النصر بعد أن فشا الإسلام في المدينة، ثم الهجرة فإقامة الدولة. ويتبين من كل ذلك أن الرسول ﷺ كان مأموراً بطلب النصر منذ السنة العاشرة للبعثة، أي قبل بيعة العقبة بنحو ثلاث سنين حيث كانت بيعة العقبة الثانية في موسم السنة الثالثة عشرة للبعثة، أي أن الرسول ﷺ كان موحى إليه بأعمال طلب النصر، فيبحث عن أهل القوة من القبائل ويطلب نصرتهم، ولما جاءت أخبار المدينة من مصعب بن عمير، ثم جاء

الثلاثة والسبعون رجلاً والمرأتان فبايعوا الرسول ﷺ بيعة العقبة الثانية، رأى رسول الله ﷺ أن المدينة مؤهلة لأن تنصره لإقامة الدولة وإعزاز الإسلام والمسلمين، وفكر بالهجرة لها لأنه ﷺ كان يبحث عن أهل القوة لينصروه ويذهب إليهم ويقوم بحكم الإسلام، فالتفكير في الهجرة اقتضاه طلب النصره نفسه، فكما كان رسول الله ﷺ يذهب إلى قبيلة ويطلب نصرتها، فكذلك كان عندما علم أن المدينة المنورة أصبحت مؤهلة لأن تعطي النصره وتقام الدولة فيها، ولذلك فإن تفكيره ﷺ بالهجرة للمدينة لم يكن خارجاً عن مقتضيات طلب النصره الذي أوحى الله له به منذ ثلاث سنين قبل بيعة العقبة الثانية. ومع ذلك فإن الرسول ﷺ لم يهاجر إلى المدينة إلا بعد أن أراه الله سبحانه دار الهجرة، وأذن له ﷺ بالهجرة كما جاء في البخاري: (قال ابن شهاب: فأخبرني عروة بن الزبير، أن عائشة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ، قالت: لم أعقل أبوي قط، إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار، بكرةً وعشيّةً... فقال النبي ﷺ للمسلمين: «إني أريت دار هجرتكم، ذات نخل بين لابتين» وهما الحرثان، فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، وتجهز أبو بكر قبل المدينة، فقال له رسول الله ﷺ: «على رسلك، فإني أرجو أن يؤذن لي» فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: «نعم»... قال ابن شهاب، قال: عروة، قالت عائشة: فبينما نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متفتحاً، في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداءً له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر، قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن، فأذن له فدخل، فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «أخرج من عندك». فقال أبو بكر: إنما هم أهلك، بأبي أنت يا رسول الله، قال: «فإني قد أذن لي في الخروج» فقال أبو بكر: الصحابة بأبي أنت يا رسول الله؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم»...).

٩- وهكذا فإن التفكير بالهجرة إلى المدينة بعد أن وصلته ﷺ أخبارها هو من مقتضيات طلب النصره التي أذن الله له به منذ السنة العاشرة للبعثة، فهي كذهاب الرسول ﷺ للطائف وبنو شيبان وبنو عامر... ولكن الرسول ﷺ لم يحول هذا التفكير لعمل إلا بعد أن أراه الله سبحانه دار الهجرة وأذن له ﷺ بالخروج: «إني أريت دار هجرتكم، ذات نخل بين لابتين» و«فإني قد أذن لي في الخروج» كما جاء في البخاري عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

أمل أن يكون الموضوع قد اتضح لك، والله سبحانه ولي التوفيق.

أخوكم عطاء بن خليل أبو الرشته

٣ من جمادى الأولى ١٤٣٥ هـ

الموافق ٢٠١٤/٠٣/٠٤ م

رابط الجواب من صفحة الأمير على الفيسبوك:

<https://www.facebook.com/Ata.abualrashtah/photos/a.154439224724163.1073741827.154433208058098/268522129982538/?type=1>